دلالات الحروف عند الفارابي
من خلال كتاب الحروف
دراسة تحليلية

الباحث / صالح بن عبد الرحمن بن صالح الحريري
قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب بالمندق، جامعة الباحة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد عرف الباحثون أبا نصر الفارابي وأدركوا مكانته بما تركَ من مآثر في التراث الفلسفي العربي، لكنهم لم يعرفوه كعالمٍ لغوي استطاع أن يُطوِّع اللغة لسائر الأغراض المنطقية، والفلسفية، والعلمية بوجهٍ خاص، والثقافية بوجهٍ عام، ومن يطلع على كتاب (الحروف) للفارابي يدرك أننا أمام فيلسوفٍ متخصص في اللغويات، فهم قضايا اللغة، وأصول مفرداتها، واشتقاقاتها، وأصواتها.

ولا شك أن محاولة الاقتراب من نصوص الفارابي وقراءتها كإبداعٍ لغوي للحروف، وإبداعٍ دلالي للمفاهيم تقتضي منا بذل الكثير من الجهد من أجل اكتشاف عوالم دلالية جديدة من تلك النصوص القديمة، لا سيما أن الفارابي قد حرص في كتابه هذا على عقد الكثير من الصلات بين الجانب اللغوي من جهة، والجانب الفلسفي من جهةٍ أخرى، ولعل هذا يتضح من عنوانه من جهة، ومن استعراض فصوله من جهةٍ أخرى .

ويهدف البحث من وراء هذه الدراسة التحليلية إلى تسليط الضوء على الجانب اللغوي لشخصية الفارابي الذي حَوَى كتابه عظيمَ الفائدة لجوانبَ شتى من دلالات الحروف وخصائصها واستعمالاتها اللغوية والمنطقية، فهو يُعَد محاولةً لرسم الملامح اللغوية العامة عند الفارابي، وإبرازها عن طريق استخلاص بعض المسائل اللغوية التي يتضح من خلالها أسلوب التفكير اللغوي

لديه، كما تحاول هذه الدارسة الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بعنوان البحث، مثل:

- هل تختلف دلالات الحروف في اللغة عنها في المنطق؟
- ما الفرق بين الاستعمال اللغوي للحروف والاستعمال المنطقي؟
- ما العلاقة بين حروف الأسئلة اللغوية ومدلولها الفلسفي ؟
- كيف تتحول حروف الأسئلة اللغوية إلى أسئلة فلسفية؟

وقد لاحظت في هذا الصدد قلة بل ندرة الدراسات التي تعنى بالدراسة التحليلية لدلالات الحروف بين اللغة والمنطق، أي أن هذا الجانب لم يأخذ كفايته من العناية والاهتمام، وعليه كان التفكير في سدِّ هذه الثغرة المهمة من خلال هذا البحث، أما المنهج الذي سلكته في هذا البحث فكان منهجًا تحليليًّا لموضوعات البحث ومسائله.

هذا، وقد قسمت بحثي إلى مبحثين وخاتمة، فتناول المبحث الأول ترجمةً موجزة للفارابي، ونظرةً عامة على موضوعات كتاب (الحروف)، وتناول المبحث الثاني تعريف الحروف لغويًّا واصطلاحيًّا، وتحليلها لغويًّا ومنطقيًّا، كما عرض لحروف السؤالات الفلسفية والعلمية، وأما الخاتمة فسجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول

(١) ترجمة الفارابي:

لا نعرف على وجه اليقين كثيرًا عن مجرى حياة الفارابي الظاهرة، وعن سِيَر تحصيله، فقد كان رجلًا ممن يخلدون إلى السكينة والهدوء، وقد وقف حياته على التأمل الفلسفي يُظِلُّه الملوك بسلطانهم، ثم ظهر آخر الأمر في زِيِّ أهل التصوف، ويُقال إن والد الفارابي كان قائد جيش وأصله فارسي، وأن الفارابي نفسه وُلِدَ سنة (٢٥٩هـ) في (وَسِيج)، وهي قرية صغيرة حصينة تقع في ولاية (فاراب) من بلاد الترك فيما وراء النهر (كازاخستان حاليًّا).

وحَصَّلَ الفارابي علومه في بغداد، وألمَّ في دراسته بالأدب والرياضيات، ويتجلى من كتب الفارابي أنه كان يعرف التركية والفارسية، وهو أمرٌ بديهي يظهر لأول وهلة، وكان يكتب بالعربية كتابةً واضحة لا تخلو من جمال البلاغة، غير أن ولوعه بالمترادف في الألفاظ والجمل بين حينٍ وآخر يقف حائلًا دون الدقة في تعبيره الفلسفي.

وبعد أن عاش الفارابي في بغداد واشتغل فيها زمانًا طويلًا ارتحل عنها إلى حلب، واستقر في مجلس سيف الدولة الزاهر على اعتبار أن بلاد الشام في تلك الفترة كانت الملاذ الآمن له ولأمثاله من العلماء الذين دفعتهم الظروف للإقامة فيها، ويظهر أن الفارابي قضى أواخر أيامه خاليًا بنفسه بين مظاهر الطبيعة، ومات في دمشق وهو مسافرٌ في صحبةِ الأمير سيف الدولة، وذلك في ديسمبر سنة (٣٣٩ هـ - ٩٥٠م)([1])

ويُعَد الفارابي من أغزر فلاسفة الإسلام إنتاجًا، وأكثرهم تنوعًا، ومن أهم مؤلفاته: كتاب (إحصاء العلوم)، ورسالة في قوانين صناعة الشعر والخطابة، ومقالة في صناعة الكيمياء، وشرح المقالتين الأولى والخامسة من كتاب (إقليدس) في الهندسة، وكتاب (الحروف) الذي نحن بصدد دراسته، وأكثر كتب الفارابي إما أنها فُقِدَت، أو لا تزال في الخزائن والمكتبات([2])

(٢) كتاب (الحروف):

يُعَد كتاب (الحروف) أكثر كتب الفارابي دقةً وأصالة، إذ إننا نجد فيه بالإضافة إلى البحوث الفلسفية بحوثًا في اللغة وصلتها بالمجتمع وتحديدًا دقيقًا لمعاني المصطلحات

---

[1] ينظر: كتاب (تاريخ الفلسفة في الإسلام)، ت . ج . دي بور، ترجمة: د . محمد عبد الهادي أبو ريدة.

[2] ينظر: مقالة:(أبو نصر الفارابي، المعلِّم الثاني) أ . شحادة الخوري، وهي منشورة بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٨٤) الجزء (١) ص ٢٤، ٢٥.

التي تستخدم في كثير من العلوم، إضافةً إلى نقاش علماء اللغة والكلام حول الكثير من الإشكاليات التي كانت تتعلق أساسًا باللغة، والمنطق، وإشكالية اللفظ والمعنى عن طريق محاولة استنتاجية منطقية لتأسيس مفهوم كلي، وتشريع دور المنطق في البيئة الإسلامية التي كانت رافضةً له، ونستطيع القول إن الموضوعات التي يبحث فيها الفارابي في ثنايا هذه الفصول إنما تعد موضوعات فلسفيةً تارةً ولغويةً تارةً أخرى، وقد يكون ذلك كما قلنا محاولةً من جانبه للربط بين اللغة والمصطلحات العلمية من جهة، وبين المنطق والفلسفة الإلهية بصفة خاصة من جهة أخرى([1])

وقد قسَّم الفارابي كتابه إلى ثلاثة أبواب، كلٌّ باب يتضمن مجموعةً من الفصول بلغت كلها ثلاثةً وثلاثين فصلًا:

فالباب الأول مُخصَّصٌ للبحث في الحروف التي يُسَأل بها عن المقولات، كما يبحث في الأشياء المطلوبة بهذه الحروف، وما ينبغي أن يُجابَ به فيها.

وأما الباب الثاني فإن الفارابي يبحث في فصوله العديدة في كثير من الموضوعات التي تعد أقرب إلى الفلسفة منها إلى اللغة.

وأما الباب الثالث والأخير فيتكون من ثمانية فصول، يبحث الفارابي فيها الكثيرَ من الحروف، ويبين لنا دلالتها الفلسفية.

[1] مقدمة كتاب (الحروف) ص ٢٧.

المبحث الثاني

(١) تعريف الحروف وتحليلها:

يبدأ الفارابي بتعريف الحروف فيقرر أنها قد تقال على حروف الهجاء كلها باختلاف أجزاء الفم القارعة أو المقروعة، فإذا ركبت الحروف بعضها إلى بعض حصلنا على ألفاظ من حرفين أو عدة حروف، وبذلك تكون الحروف والألفاظ علامات لمحسوسات يمكن أن يُشارَ إليها، ولمعقولات تستند إلى محسوسات يمكن أن يُشارَ إليها، والألفاظ الدالة عنده منها ما هو اسم، ومنها ما هو كَلِم، والكَلِم هي التي يسميها أهلُ العلمِ باللسان العربي (الأفعال)، ومنها ما هو مركبٌ من الأسماء والكَلِم، فالأسماء هي كلٌّ لفظ دَلَّ على المعنى من غير أن يدلَّ على زمانِ المعنى.

أما الكَلِم فإنها الألفاظ المفردة الدالة على المعنى وعلى زمانِ المعنى سواءً دَلَّ بالزمانِ على زمانٍ سالف أو مستأنف أو حاضر، وإذا رُكِّبَت الألفاظ حصلنا على الجمل سواء أكانت اسميةً أو فعلية، ومن الألفاظ الدالة الألفاظ التي يسميها النحويون الحروف التي وُضِعَت دالةً على معانٍ، وإذا كان نحويو اليونان يسمونها الأدوات فإن نحويي العرب يطلقون عليها حروف المعاني أو الحروف التي وُضِعَت دالةً على معانٍ، وهي أصنافٌ كثيرة.

ويفرق الفارابي بين الاستخدامات المختلفة لبعض الأدوات التي يُعبَّر بها عن المعاني، كحروف النداء وحروف السؤال، كما يفرق بين حروف السؤالات اللغوية، وحروف السؤالات الفلسفية، وحروف السؤالات العلمية، وفي ذلك يقول: " وهذه وجُلُّ الألفاظ قد تُستعمَل دالةً على معانيها التي للدلالة عليها وُضِعَت منذ أول ما وُضِعَت، وتُستعمَل على معانٍ أُخَر على اتساع ومجاز واستعارة، واستعمالها مجازًا واستعارةً هو بعد أن تُستعمَل دالةً على معانيها التي لها وُضِعَت من أولِ ما وُضِعَت "[١]

وهو في هذا النص يفرق بين استعمال اللغوي لحروف السؤال واستعمال المنطقي مشيرًا إلى أن اللغوي يستعملها على اتساعٍ مجازًا واستعارةً، بينما الفلسفي والجدلي لا يستعملاها إلا على المعاني الأولى التي لأجلها وُضِعَت، يقول: " وأما الفلسفة والجدل والسوفسطائية فلا تُستعمَل فيها إلا على المعاني الأولى التي لأجلها وُضِعَت أولًا ... وما استُعمِلَ منها – أي من الاستعارة والمجاز – فإنما يُستعمَل منها الشيء اليسير

[١] كتاب (الحروف) ص ١٦٤.

لزينة الكلام ... أما الفلسفة فلا يُستعمَل في شيءٍ منها لفظٌ إلا على المعنى الذي لأجله وُضِعَ أولًا لا على معناه الذي له استُعِيرَ أو تُجُوِّز به وسُومِحَ في العبارة به عنه "([1])

وقد اهتم الفارابي بتناول بعض هذه الحروف وأشار إلى خصائصها، وعدَّدَ أصنافها، فمنها المتصرف التي ترافقها الكَلِم (الأفعال)، وغير المتصرف التي لا يُجعَل لها كَلِم، ومنها المشتق من ألفاظها الدالة عليها وهي بمثابة مثالات أُوَل، وغير المشتق التي تبقى بالقوة في معانيها، ثم منها المفرد شكلًا والمركَّب نحتًا.

وهذه الأصناف من الألفاظ التي تشتمل عليها صناعة النحو، قد يوجد منها ما يستعمله الجمهور على معنى، ويستعمله أصحاب العلوم الأخرى على معنىً آخر، وربما وُجِدَ من الألفاظ ما يستعمله أهل صناعةٍ على معنى، وما يستعمله أهلُ صناعةٍ أخرى على معنىً آخر، ويؤكد الفارابي أن النحويين هم الذين ينظرون في أصنافِ الألفاظ بحسب دلالتها المشهورة عند الجمهور لا بحسب دلالتها عند أصحابها:

فحرف (إنَّ)يعني الثبات والدوام والكمال والوثاقة في الوجود وفي العلم بالشيء، وهذا في اللسان العربي، أما في الفارسيةِ واليونانية فحرف (إنَّ)، و(أنَّ) سواءً كانت ألفًا مكسورة أو مفتوحة فكلاهما يفيد التأكيد غيرَ أنَّ حرف (أنَّ) أشدُّ تأكيدًا، وهي الدليل على الأكمل والأثبتوالأدوم؛ ولذلك يسمون الله بـــ (أُون) ممدودة الواو، فإذا جعلوها لغير الله قالوها بـــ (أُن) مقصورة، وقد استفاد الفلاسفة والمناطقة من هذا التحليل اللغوي فاستخدموا كلمة (أُن) في معناها الاصطلاحي لتدلَّ على الوجود الكامل (إنِّيَّة الشيء) وهي ماهيته([2])

أما حرف (مَتَى)فهو عند النحويين اسم لظرف زمان، وقد توسع الفارابي في استخدام دلالة هذا الحرف؛ إذ يقول: " وحرف (متى) يستعمل سؤالًا عن الحادث من نسبته إلى الزمان المحدود المعلوم المنطبق عليه، وعن نهايتي ذلك الزمان المنطبقتين على نهايتي وجود ذلك الحادث جسمًا كان ذلك أو غير جسم بعد أن يكون متحركًا أو ساكنًا، أو في ساكن، أو في متحرك "([3])

ويتناول من حروف الواسطة حرف (عَنْ) ويستند إلى اللغة في عرض الأمثلة، ويرى أنه يدل على (فاعل) مثل قولنا:(عن شتم فلان لفلان كانت الخصومة)، ويدل

[1] المصدر السابق ص ١٦٤، ١٦٥.
[2] كتاب (الحروف) ص ٦١.
[3] المصدر السابق ص ٦٢.

على المادة حين نقول:(الإبريق عن النحاس)، كما يدلُّ على (بعدُ) في مثل قولنا:(عن قليلٍ تعلم ذاك)، وكقولنا في الفلسفة:(كان الموجود عن لا موجود)، أو (عن العدم)، أو (وُجِدَ الشيءُ عن ضِدِّه)([1])

وحرف (ما)يستعمل في سائر اللغات والألسنة للدلالة على السؤال عن شيءٍ ما مفرد، أما الشيء الذي عنه يُسَأل بهذا الحرف فقد يُقرَن باللفظ المفرد وهو الشيء الذي نريد أن نعلمه مثل قول القائل:(ما المعنى)، وقد يُقرَن بمحسوسٍ أُدرِك ما أُحِسَّ فيه من الأحوال أو الأعراض في الجملة وجُهِلَ منه شيءٌ آخر كقولنا:(ما الذي نراه؟)، و(ما الذي بين يديك؟)، وقد يُقرَن باسمٍ معقول المعنى كقولنا:(الإنسان ما هو؟)، فنحن نعرف الإنسان ضربًا من المعرفة، ولكننا بالسؤال نطلب معرفةً أزيدَ مما عُرِفَ به أولًا([2])

ويُشِير الفارابي إلى الاستخدامات المنطقية لحرف (ما)، فإذا تساءلنا مثلًا:(ما هذا المرئي؟ وما هذا الذي بين يديك؟ وما ذاك السواد الذي نراه من بعيد؟ وبالجملة:(ما هذا المحسوس ؟) فإنه يمكننا أن نجيبَ عن هذا السؤال ببعض الكليات التي هي صفات لذلك الشيء المسؤول عنه، فقد نقول فيه:(إنه نخلة، وإنه شجرة، وإنه نبات، وإنه جسمٌ ما) فتكون هذه كليات متفاضلة في العموم يليق أن يُجابَ بكلٍّ واحدٍ منها في جواب (ما هو هذا المرئي؟) فإذا أخذنا أيَّ اثنين منها فإن الأخص منهما يسمى نوعًا، والأعمَّ يسمى جنسًا.

وقد نجيب عن هذا السؤال بحَدِّ النوع المسؤول عنه، فقد يقال عن الحائط مثلًا إنه جسم متصلب، ذو سُمكٍ مؤتلف من حجارةٍ أو لبنٍ أو طينٍ أُعِدَّ ليحمل السقف ويصون من الرياح، فإن الحائط هو النوع المسؤول عنه، والقول الذي أُقِيمَ مقامه هو حَدُّه، وما يدل عليه حد النوع هو ماهيته، والذي يدل عليه جزء من أجزاء القول هو جزء ماهيته.

وقد يُقرَن حرف (ما) بنوعٍ يُعقَل به الشيء مجملًا غيرَ ملخَّصٍ بأجزائه التي بها قوامه، فإذا تساءلنا مثلًا: (ما العباءة؟) فإنه يُجاب عن هذا السؤال بجنس ذلك النوع أو حَدِّه، فيقال:(هي ثوبٌ من صوف)، فالثوب جنسه، و(ثوبٌ من صوف) حَدُّه، وهو ما يُعقَل به الشيء مَلخَّصًا بالأشياء التي بها قوامه (أكمل ما يُعقَل به الشيء).

---

[1] السابق ص ١٣٠.

[2] السابق ص ١٦٦.

فإن قيل:(إنها الثوب الذي يلبسه المترهِّبون وأهلُ الصنائع القَشِفة مثل الملاحين والفلاحين) كان هذا تعريفًا للعباءة لا حدًّا لها، ولا يدل على ماهيتها، وهذه الصفات التي تعرِّف الشيء بما هو خارج عن ذاته وليس بها قوامه تسمى بـ (الأعراض)، كما يسمى هذا الصنف من الأقوال بـ (الرسم)، وهو ما يُفهَم به الشيء مُلخَّصًا بصفاته الخارجة عن ذاته بعضها أقرب إليه وبعضها أبعد عنه (أنقص ما يُفهَم به الشيء)([1])، وقد يُستعمَلُ حرف (ما) مقترنًا بجنس الشيء، وذلك متى عُرِفَ الشيء بجنسه، ولم يُعرَف النوع الأخص الذي هو منسوبٌ إليه، فالسؤال (ما مالُك ؟) يُعنى به ما النوع الذي تملك من المال، والسؤال:(ما النبات الذي يكون ببلاد اليمن؟) يُعنى به ما النوع الذي يكون باليمن خاصة من أنواع النباتات([2])

أما حرف (أيّ)فمن خصائصه الفلسفية أنه يُستعمَل كسؤالٍ يُطلَب به علم ما يَتميَّز به المسؤول عنه، وما ينفرد، وينحاز به عما يشاركه في أمرٍ ما، فنحن نستعمل هذا الحرفَ في السؤال عما تصورناه بما يدلُّ عليه اسمه فنتصوره ونعقله ونفهمه في أنفسنا بما ينحاز وينفرد ويتميز به عن كلِّ ما يشاركه في جنسه.

فإذا تساءلنا في الإنسان (أيُّ حيوانٍ هو؟) فإن الجواب قد يميز نوع المسؤول عنه، سواءً بشيءٍ هو جزء ماهيته فيكون الجواب إنه حيوانٌ ناطق، وقد يكون الجوابُ بشيءٍ ليسَ بجزء ماهيته، وإنما هو خاصٌّ بالنوع المسؤول عنه مثل أن يكونَ الجوابُ عن الإنسان إنه حيوانٌ يبيع ويشتري، فالذي يُردَف به الجنس هو خاصة ذلك النوع، والقولُ بأسره رسمٌ لا حد([3])

ومثله أن نسألَ هذا السؤال:(الحيوانُ الذي يكونُ باليمن، أيُّ حيوانٍ هو؟)، و(النبات الذي يكونُ بمصرَ، أيُّ نباتٍ هو؟) فيكون الجوابُ عنه بنوع الحيوان الذي يكون باليمن، ونوع النبات الذي يكون بمصر، أو بحَدِّ ذلك النوع، أو بحَدِّ رسمه، ومثله أن يقال أيضاً:(أيُّ شيءٍ خبرُك؟)؛ لأنك إنما تُسَأل عما يتميز به النوع الذي لكَ من الأخبار عن الذي ليسَ لكَ منها.

وقد يُستعمَل حرف (أيّ) سؤالًا يُلتمَس به أن يُعلَم على التحصيل واحدٌ من عِدَّةٍ محدودةٍ معلومة على غير التحصيل، ففي مثل قولنا:(زيدٌ في أيِّ البلدين هو، الشام أو

[1] كتاب الحروف ص ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩ بتصرف.
[2] المصدر السابق ص ١٦٩، ١٧١.
[3] السابق ص ١٨١– ١٨٣.

العراق؟) قد عُلِمَ أن زيدًا في واحد من هذين الموضعين المعروفين عند السائل على غير التحصيل فطُلِبَ بحرف (أيّ) أن يُعلَمَ ذلك الواحد منهما على التحصيل([1])

ويفرق الفارابي بين السؤال بحرف (أيّ)، والسؤال بحرف (ما)، فعند سؤالنا عن الشيء بحرف (أيّ) تكون معرفتنا للمسؤول عنه بما يعمُّه وغيرَه وبما لا يتميز به عن غيره فيُطلَب بهذا الحرف أن يُعلَم ما ينحاز به المسؤول عنه، وما يخصُّه دون غيره، أو يُطلَب به علامةٌ خاصة في المسؤول عنه يتميز بها عن شيءٍ ما آخر فقط، وفي وقتٍ ما فقط، وأما عند سؤالنا بحرف (ما) فإن معرفتنا للمسؤول عنه بما هو خارجٌ عن ذاتِه من الأعراض، ونلتمس معرفته بما هو ذاته أو بجزء ذاته([2])

حرف (كيف):

يحدد الفارابي الأمكنة التي يُستعمَل فيها حرف السؤال (كيف)، وماذا يُطلَب به فقد يأتي السؤال مقروناً بشيءٍ مفرد وما يجري مجراه من المركَّبات التي تركيبها تركيب اشتراط وتقييد مثل قولنا:(كيف فلان في جسمه؟ وكيف هو في سيرته؟ وكيف هو في خلقه؟ وكيف هو في صناعته؟ وكيف هو فيما يعانيه في حياته؟) فيكون المطلوب بحرف (كيف) في هذه الأمكنة كلها أمور خارجة عن ماهية المسؤول عنه.

وقد يأتي هذا الحرف مقروناً بجزئيات المسؤول عنه مثل قولنا:(كيف بنى الحائط؟ وكيف نسجَ الديباج؟) والجوابُ عنها وما يشبهها على حسب ما في بادئ الرأي المشهور، وقد يقرن بهذا الحرف نوع المسؤول عنه كنوع نساجة الديباج، ونوع بناء الحائط مثل:(كيف ينسج فلانٌ الديباج؟ وكيف يبني هذا البنَّاءُ الحائط؟) والجوابُ هو أن يقول: جيِّد أو ردئ، سريع أو بطيء.

وعمومًا فالفارابي يشير إلى أن هذا الحرف يُستعمَل في السؤال عن الأجسام الصناعية، والأجسام الطبيعية كقولنا:(كيف ينكسف القمر؟)، والجواب عن ذلك أنه ينقلب وجهه الآخر الذي لا ضوء فيه، أو أنه يُحجَب بالأرض عن الشمس فلا يقع عليه ضوؤها، وكذلك يُستعمَل حرف (كيف) في السؤال عن نوع نوع، أي معرفة الماهية، كقولنا:(الجمل كيف هو؟) والجواب يكون بوصف أجزائه التي بها التئامه وترتيبها ليجتمع لنا من تلك الأجزاء ذلك الجسم بالفعل.

---

[1] السابق ص ١٩١، ١٩٢.

[2] كتاب (الحروف) ص ١٨٧ – ١٩٠.

ويوازن الفارابي بين استخدامات (كيف)، و(ما)، و(أيّ)، و(هل)، موضحًا أنها جميعًا تستخدم في الكيفيات الذاتية، إذ يقول: " والمطلوب بحرف (كيف) في الذاتية، والمطلوب فيه بحرف (ما)، والمطلوب فيه بحرف (أيّ) يكون شيئًا واحدًا بعينه، فإن قولنا:(كيف انكساف القمر؟)، و(ما هو انكساف القمر؟)، و(أيُّ شيءٍ هو انكساف القمر؟) يُطلَب بها كلها شيء واحد "([1])

حرف (هل):

يعرف الفارابي حرف (هل) بقوله: " هو حرف سؤال إنما يُقرَن أبدًا في المشهور وبادئ الرأي بقضيتين متقابلتين بينهما أحد حروف الانفصال، وهي:(أو)، و (أم)، و(إما)، وما قام مقامها، فهو يُقرَن بمتقابلتين عُلِمَ أن إحداهما لا على التحصيل معروفة عند المجيب، ويُطلَب به أن تُعلَم تلك الواحدة منهما على التحصيل، والفرق بينه وبين حرف (أليس) أنه إذا كان حرف (هل) يُستعمَل في السؤال عما ليس يدري السائل بأيهما يجيب المجيب وعن ما لا يبالي السائل بأيهما أجاب المجيب، وقد تستعمل فيما يدري السائل بأيهما يجيب المجيب ولكن يُلتمَس به إظهار اعتراف المجيب عند نفسه أو عند باقي الناس الحضور فإن حرف (أليس) يُستعمَل إذا كان السؤال سؤال مَنْ يريد أن يسلم بإحدى المتقابلتين دون الأخرى مثل قولنا:(أليس الإنسانُ حيوانًا، أليس الإنسانُ بطائر)، وقد يُستعمَل حرف الألف في الاستفهام وتقوم مقام (هل) كقولنا: (أزيدٌ قائمٌ أم ليسَ بقائم) "([2])

(٢) حروف السؤالات الفلسفية والعلمية:

أما حروف السؤالات الفلسفية فيشير الفارابي إلى أن معظمها حروف مركبة، فمثلًا حرف (لِمَ) الذي يُطلَب به سبب وجود الشيء هو حرفٌ مركبٌ من اللام و(ما)، وكأنه قيل: (لماذا)، وهذا السؤال إنما يكون فيما قد عُلِمَ وجوده وصدقه أولًا، وأصناف الحروف التي تُطلَب بها أسباب وجود الشيء وعلله ثلاثة:(لماذا وجوده)، و(بماذا وجوده)، و(عن ماذا وجوده).

فأما حرف (ماذا وجوده) فالذي يدل عليه حد الشيء وماهيته وهي أخص أسبابه، وأما حرف (بماذا وجوده) فإنه الذي به وجوده وهو فيه وقد يكون خارجًا عنه مثل

[1] المصدر السابق ص ١٩٨.

[2] كتاب (الحروف) ص ٢٠٠ – ٢٠٤.

الشمس فهي التي بها وجود النهار وهي التي تبقيه موجودًا، فـ (ماذا وجوده)، و(بماذا وجوده) يجتمعان في الدلالة على سببٍ واحد، ويُشترَط في (ماذا وجوده) أن يكون في الشيء، و(بماذا وجوده) يُطلَب به الفاعل والحافظ والماهية، أما (عن ماذا وجوده) فيُطلَب به الفاعل والمادة، و(لماذا وجوده) يُطلَب به الغرض والغاية التي لأجلها وجوده([1])

وأما حرف (هل) فهو سؤالٌ عام يُستعمَل في جميع الصنائع القياسية غيرَ أن السؤال به يختلف في أشكاله وفي المتقابلات التي يُقرَن بها هذا الحرف، وفي أغراض السائل، ففي الصنائع العلمية يُقرَن حرف (هل) بالقولين المتضادين، وفي الجدل يُقرَن بالمتناقضين فقط، وفي السوفسطائية يُقرَن بما يُظَن أنهما في الظاهر متناقضان، وأما في الخطابة والشعر فإنه يُقرَن بجميع المتقابلات وبما يُظَن أنهما متقابلان من غير أن يكونا كذلك([2])

وإذا تساءلنا عن شيءٍ في العلوم بحرف (لِمَ هو الشيء؟) فإن الجواب يجب أن يُذكَرَ فيه السبب، والحرف الدال على أن الشيء المقرون به سببُ الشيء المسؤول عنه هو حرف؛ (لأن) الذي قد يُقرَن بالبرهان بأسره إذا كانَ البرهان بأسره سبب ذلك، أو نقرنه بالمقدمة الصغرى التي محمولها الحد الأوسط وهو أكثر استعمالاً، فمثلًا تساؤلنا:(لِمَ نقول إنَّ هذا الإنسانَ هو بعد في الحياة؟ فالجواب هو (لأنه يتنفس) فقولنا: (يتنفس) هو السبب في أن يعيش، وإذا قلنا:(لأنه يتنفس، وكلُّ مَنْ يتنفس فهو في الحياة) نكون قد أجبنا بالبرهان بأسره.

ويوضح الفارابي مطلوبات حروف السؤال في كلِّ صناعةٍ من الصنائع العلمية، فمثلًا نجد أن صناعة التعاليم تعطي في كلِّ شيءٍ تنظر فيه من بين الأسباب الماهية التي بها الشيء بالفعل، وماذا هو الشيء، وهي التي تُطلَب بحرف (كيفَ) في نوع نوع.

أما في العلم الطبيعي والعلم المدني فإنهما يعطيان من جهة الطبيعة والأشياء الطبيعية كلَّ ما به قوام الشيء الخارج منها، الفاعل والغاية، والذي هو في الشيء نفسه، وكان سؤالنا عنه بحرف (هل هو موجود)، أو (هل هو

[1] المصدر السابق ص ٢٠٤ – ٢٠٦.
[2] السابق ص ٢١٢.

موجود كذا) إنما يُطلَب فيه كلُّ شيءٍ كان بـــه وجـــود ذلـــك الـــشيء مـــن فاعـــل أو مادة أو صورة أو غاية([1])

[1] السابق ص ٢١٦، ٢١٧.

الخاتمة

لاحظت واتضح لي بعد تتبعي لاهتمام الفارابي بالتقريب بين اللغة والمنطق دوره المشهود في تأسيس فلسفة لغوية بحيث نستطيع أن نستخلص من هذا البحث المتواضع أهم النتائج، وهي:

١- صنف الفارابي الحروف حسب دلالتها المنطقية وليس حسب تأثيرها النحوي، والفرق بينهما أن تصنيف الحروف حسب دلالتها المنطقية يجعل اللفظ تابعًا للمعنى، أما تصنيفها حسب تأثيرها النحوي فيجعل المعنى تابعًا للفظ.

٢- توسع الفارابي في شرح مدلول حروف الأسئلة اللغوية؛ لكي يتسنى له إظهار العلاقة بينها وبين مدلولها فلسفيًّا أو كيف تتحول إلى أسئلةٍ فلسفية.

٣- كان الفارابي يتناول معنى الحرف لغويًّا، ثم يضفي عليه بُعدًا منطقيًّا جديدًا، ولا شك أن هذا يفسر لنا انتقال اللفظ الواحد من مستوى تطابقه مع الموجود الحسي خارج النفس إلى ملاءمة المعقول داخل النفس.

المراجع:

١) تاريخ الفلسفة في الإسلام، ت . ج . دي بور، ترجمة د . محمد عبد الوهاب أبو رِيدَة.
٢) كتاب (الحروف)، لأبي نصر الفارابي، تحقيق وتقديم: محسن مهدي، دار المشرق، ١٩٩٠م.
٣) مقالة بعنوان: (أبو نصر الفارابي: المعلم الثاني)، أ. شحادة الخوري، منشورة بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٨٤)، الجزء الأول.
٤) مقدمة كتاب (الحروف)، لأبي نصر الفارابي، بقلم: محسن مهدي، دار المشرق، ١٩٩٠م.